كنت على وشك أن أتزوج

للأســـتاذ توفيق الحـكيم

[فى هذا الأسبوع أخرج صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم كتابه (حمار الحكيم) . وهو كتاب قصصى طريف ، أخذ اسمه من جحش رضيع اشتراه وأنزله معه فندق (. . . .) ، ثم أدار فيه الحديث على اتفاقه مع شركة شريانتيه السينمائية على أن يضع لها حوار قصة مصرية . ثم شقق الحديث وشعبه فتناول الأدب والفن والمرأة والزواج بأسلوبه الفكه الطلى . وفيما يلى فصل قيم من هذا الكتاب يصور قطعة جيلة من حياة الكاتب]

رفع صاحبي رأسه والتفت إلىّ فجأة قائلاً :

— ألم يخطر ببالك أن تتزوج ؟

فقلت وأنا أحاول التذكر :

— نعم ، كنت موشكاً على الزواج منذ عشر سنوات ... لكن ...

ثم كررت بفكرى راجعاً إلى ذلك العهد وابتسمت ، فقد مرت برأسى صورة ما حدث وما ثنى عزمى عن المضى فى ذلك الأمر

كنت ذات عصر راكباً عربة يجرها حصانان ، وإلى جانبى أحد المهتمين بشئونى ، فرأينا السائق يهوى بسوطه على أحد الجوادين ، فمال من الألم على شريكه كأنه يشكو إليه ، والتقى رأسا الجوادين كأنهما يتساران . فجعلنا نتحدث فى ذلك ونقول : إن مركبة الحياة كذلك لا يهوّن من أوجاعها غير أن يربط إليها شريكان يشدان عجلاتها ويشجع أحدهما الآخر كلما سلط عليه القدر سوطاً من سياطه . ثم قلنا : من يدرى ؟ لعل هذا سر ذلك الحظر الذى نراه فى بعض المدن على من يستعمل مركبة ذات جواد واحد . ثم مضينا فى الاستطراد حتى قلنا : ولماذا لا يسرى الحظر على مركبة الحياة ؟ وعند ذاك اتجه الكلام إلى ، وصارحنى من معى بأن مركبة حياتى لا ينبغى بعد اليوم أن أجرها بمفردى . فإنها قد تحمل فوق ما أطيق ، وأنا رجل غريب الأطوار قد أسير بها سيراً غير مألوف فأتخبط بها فى طرقات غير ممهدة لا أحفل بسوط سائق . بل من يدرى لعلى جمحت مرة فأسقطت سائقى فى الأوحال ، وجعلت أنطلق منفرداً بمركبة بلا نور ، أركض بها على غير هدى حتى أرتطم فى جدار ... وانتهى الأمر بصياح ذلك المهتم بشأنى :

— لا بد من زواجك

فقلت له :

— فى الحالة الحاضرة ... وقتى ضيق ...

فقاطعنى صائحاً :

— اترك لى المسألة ...

ولم يمض شهر حتى وجدت ذلك الشخص الكريم قد خلا بى ووضع فى يدى صورة فتوغرافية لفتاة طريفة وقال لى :

— تعجبك ؟

فتأملت الصورة ملياً ثم قلت :

— من أى وجه ؟

فصاح بى :

— اعمل معروف لا داعى للفلسفة . إن كان شكلها مناسب !

— مناسب ...

— انتهينا ...

ثم مد يده إلىّ وقال :

— وصورتك بسرعة . آخر صورة لك

— الصورة الوحيدة الموجودة عندى هى صورة جواز السفر

— ما تنفعش ؟ قم بنا نعمل لك صورة « جواز » فقط ؟

وسحبنى من يدى ، وذهب بى إلى محل « مصور فتوغراق » معروف . فوضعنى ذلك المصور أمام لوحة من قماش تمثل ستارة سوداء ، وأراد أن ينزع من يدى العصا ، ليضع هذه اليد فوق « درابزين » مزيف قد أتى به ، فأبيت ذلك عليه ، فرد على عصاى ، ونظر من معى إلى وقفتى ، فلم ترقه ، فصاح فى المصور :

— هو واقف على إيه ؟

فقال المصور :

— على سلم

فصاح به :

— وإيه مناسبة السلم والدرابزين ! اجعل وقفته فى جنينة

مطبعة التوكل — ٢١٠٠ صفحة ١٥٠ مليم

وحط الورد حواليه ، وارفع الستارة المحزقة من جنبه وانصب بدلها خميلة ياسمين أو تكميبة عنب ! بالاختصار مناظر مفرحة ...

ثم مال على المصور ، فأسر فى أذنه كلاماً

فتهلل وجه المصور وقال :

— فهمت الطلب

ثم أسرع فأحضر ستائر حمراء ومناظر خضراء وأصص أزهار ورياحين وهو يقول :

— إن شاء الله أطلعه يحاكى البدر فى سماه !

فأردت أن أظهر عجبى لهذه المعجزة إذا صحت ، فأسكتنى وأوقفنى بين المناظر الرائعة والخضرة الزاهرة ... ودخل هو فى شىء يشبه « البطانية » السوداء يغطى جهاز تصويره ، ولبث فيه لحظة ثم خرج بصيح :

— واحد ... إثنين ... ثلاثة ... مبروك !

فتركت موقفى وأقبلت على المصور أوصيه :

— الصورة تكون طبيعية . إياك تعمل « رتوش » !

فما شعرت إلا والمتولى شأنى قد انتزعنى انتزاعاً من بين يديه ودفعنى بعيداً ، وأقبل على المصور يقول له :

— إياك أن تسمع كلامه !

ثم التفت إلىّ قائلاً :

— حد فى الدنيا يقول للمصورانى ما يعملش « رتوش » ؟ خصوصاً لحضرتك !

فقلت :

— على كل حال لا بد من كونى أطلع على « البروفة » قبل كل شىء

فقال المصور : إن تجارب الصورة يمكن الاطلاع عليها فى صباح اليوم التالى . فغادرناه على أن نعود إليه فى الغد . ومضى النهار ، وجاء الغد ، فانسللت بمفردى إلى حانوت المصور أطلع خفية على تجارب الصورة . فعرضها علىّ ، فتأملت وجهى فيها ، فلاحظت أن شاربىّ غير متساويين فى الطول ، وأن شارباً أقصر من شارب ، فتباحثنا فى علاج ذلك ، وقلت له : إن « الرتوش » الوحيدة التى آذن بها هى أن يعدل ريشته إلى الشارب القصير فيطيله حتى يساوى أخاه . وانصرفت وانتصف النهار ، وقابلت بعد ذلك المهتم بشأنى ، فقصصت عليه ما حدث من أمر الشارب ، فما راعنى إلا قوله إنه مر هو الآخر بحانوت المصور عقب انصرافى ، فلما علم بمسألة الشوارب ، أمر المصور أن يزيلها كلها وكفى الله المؤمنين القتال . فما إن سمعت منه ذلك حتى صحت فى وجهه :

— يزيلها كلها !

— إيه المانع ؟

أنا بشوارب تعملونى من غير شوارب! هذا العمل اسمه تزوير

— يعنى لا سمح الله قمنا زورنا فى كمبيالة !

— هو التزوير لا بد أن يكون فى كمبيالات

كان غرض حضرتك أن أهل العروسة يقولوا مقدمين لنا عريس « بشنب ودقن » !

— نقوم نلجأ للغش !

— وأنت فاهم أن صورة العروسة خالية من الغش ؟

— شىء عجيب !

— مؤكد شىء مفهوم مقدماً . وفى المستقبل يتضح لك أن ما عملناه أقل مما عملوه بمراحل ، اطمئن !

فقلت من فورى :

— الحمد لله اطمأنيت . إذا كان مجرد « الشكل » وضمناه على هذا الأساس ، يبقى « الموضوع » ...

فقاطعنى :

— لا ... « الموضوع » مضمون أربعة وعشرين قيراط . ثروتها معروفة وتحرياتنا صحيحة ، وأنت حالتك المالية واضحة ...

— دا كل قصدكم من « الموضوع » ؟

— طبعاً . فيه شىء غيره ؟

فلم أطق صبراً ، فقمت دون أن أجشم نفسى مشقة الجواب وذهبت ، وقد ذهبت عنى فكرة الزواج إلى اليوم . ولم يعد شبحها يظهر إلا مقترناً بذكرى هذا الحوار بنصه وألفاظه كما سمعتها ، فكانت ذكراه تقصينى من فورى عن المضى فى التفكير . فهذه الشركة النبيلة بين روحين تعاهدا على السير جنباً إلى جنب فى طريق الحياة الشاقة الطويلة ، ما زالت تقام فى أغلب الأحيان على هذا النحو المخجل ، وإذا صلحت هذه الطريقة لكثير من الناس فهل تصلح لشخص مثلى قد تتأثر حياته الفكرية وإنتاجه الذهنى

إلى حد كبير بشخصية الشريك . لذلك آثرت السلامة وأحجمت عن المغامرة ، خشية الوقوع فى غلطة تفسد على الحياة كلها

ورجعت إلى وحدتى ... تلك الوحدة الباردة التى تحيط بى من كل جانب فما أنا فى الحقيقة دائماً سوى كوخ مقفر وسط صحراء من الجليد ، وضمت داخله يد المصادفة إناء يغلى ويتصاعد منه بخار ، هو تلك الأفكار التى تخرج من نافذتى إلى حيث تصل أحياناً إلى جوع الناس . فإذا دخلت امرأة هذا الكوخ فمن يضمن لى ما سوف تلقيه فى هذا الإناء وما يتصاعد من جوفه بعد ذلك ! ...

ا أنفقت حياتى متنقلاً ، تائهاً ليس لى مكان معروف ولا عنوان دائم . فما تركت فندقاً لم أنزله ، ولا نزلاً لم أهبطه . حتى ضجرت ذات يوم وتبرمت بهذه الحال واستنكفت أن أعيش هكذا كما تعيش الفكرة الهائمة والروح الحائرة . . . فأردت أن أجرب الحياة المستقرة فى مسكن ثابت اخترته فى بقعة جميلة من بقاع القاهرة ... يشرف على النيل ، وترى من نوافذه الفلفلة والأهرام وعنيت بأثاثه ، وأعددت فيه مكتباً أنيقاً وخزائن للكتب ، واقتنيت سيارة ، وأقمت بمفردى وحولى خادم وطاه وسائق ...

فماذا حدث ؟ لم أتحمل الحياة فيه عاماً . فقد كاد الخدم الثلاثة يذهبون البقية الباقية من عقلى ، فالخادم النوبى جعل يكسر «اسطوانات» الثمينة؛ وتحريت أمره فعلمت أنه يتربص بى حتى أخرج فى الصباح ، فيدير « الجراموفون » ويضع ما يقع فى يده من أعمال «بيتهوفن» و «موزار»، ولا يحلو له تنظيف «الباركيه» وطلاؤه إلا على هذه الأنغام

أما الطاهى فقد كان يبدى الابتكار فى ألوانه أول الأمر ، ثم قصر وتراخى حتى صار الطعام ضرباً من (الروتين) لا طعم له . فكنت أحياناً أترك المنزل بما أعد لى فيه وأذهب إلى مطاعم المدينة. ولقد كان للخدم دائماً طعام غير طعامى ، هو فى أكثر الأحيان ألذ وأمتع . ولطالما أمرت الطاهى أن يحضر لى مما فى قدورهم هم ويحمل كل هذه الألوان التى نسقها تنسيقاً ظاهراً دون أن يضع فيها روحه وقلبه ...

وليس هذا كل شىء . فقد علمت أن الطاهى يعد على حسابى قدراً كبيراً من الطعام يقدمه بالأجر إلى بوابى الجيران ؛ وأن الخادم يدعو جميع زملائه النوبيين كل عصر عقب انصرافى إلى تناول الشاى

ولم يدهشنى ذلك فإن نفقاتى بمفردى كانت دون أن أدرى نفقات أسرة مكونة من عشرة أعضاء، وما انتهى إلى ذلك إلا ضيف عابر . على أن كل هذا لم يغضبنى كثيراً . إنما الذى أثارنى حقاً هو مسمار صغير وجدته يوماً فى لون من ألوان الطعام ؛ كدت أزدرده ... هنالك لم أطق صبراً . وعلمت أن الخدم بلا رقابة هم خطر من الأخطار العامة ... وما ملكت نفسى عن الصياح فيهم يوماً (والله لأتزوج لكم وأمرى إلى الله)

أما السائق فلا يريد أن يصغى إلى رجائى كلما طلبت إليه ألا يسرع . فأنا أبغض السرعة. إنها تعمينى عن التفكير، ولطالما أكدت له أنى لست متعجلاً شيئاً . ولا شىء فى الوجود يستعجلنى، فأنا عدو الزمن والوقت ، ولم أهمل ساعة قط ، فالوقت عندى ليس من ذهب بل من تراب كأجسامنا ... ولكنه ينطلق بى رغم ذلك ، كأنما يريد أن يطرحنى فى أسرع وقت ، ليخلص منى وينصرف إلى شأنه . فكنت أتركه أحياناً يقف منتظراً فى جانب الطريق وأسير مفكراً حراً حيث أشاء . ثم أدرك أخيراً أنى لا أحب السهر وأنى شديد الكسل وأنى أكتفى بعبارة أقولها له كل عصر : « اطلع جهة فيها هواء نقى » « فين ؟ » (أى جهة تختارها) ، فيمضى بى حيث يريد هو دون أن أعترض ويقف بى أحياناً حيث يشاء ويقدر أن المناظر جميلة والهواء منعش فلا أتكلم ، فإن فكرى منصرف دائماً عنه ، مادام لا يسرع بى ولا يقول لى : « تفضل » . إلى أن يرى أن الأوان قد آن للتحرك فيقودنى إلى حيث أتناول الشاى أو العشاء فى الأماكن المعتادة . فإذا أمرته أن يذهب بى إلى السينما ... فقد عرف ألا يسألنى أيها . بل يمضى بى طائفاً على جميع الدور ، فيقف أمام كل باب من أبوابها لحظة ، فإذا نزلت فقد انتهت مهمته . وإذا لم أنزل فإنه يتحرك إلى غيرها ... وإذا مر بجميعها فلم أغادر السيارة فإنه يعود بى من تلقاء نفسه إلى المنزل ويقول لى : « تفضل » . فأنزل فى صمت ، وقد شعر بقدر هذه السلطة الواسعة فى يده فاستغلها آخر الأمر استغلال الطغاة لحرية الشعب . فكان

إذا أراد أن يفرغ من عمله مبكراً أو يخلص إلى شأن من شؤونه طاف بتلك الأماكن طوافاً سريعاً لا يكفي لإيقاظي من تأملاتي أو إخراجي من ترددي ، ثم ردني إلى منزلي ، ولما تدق التاسعة قائلاً : « تفضل » فأنزل دون أن أنتبه لما حدث . وفطنت ذات ليلة إلى إرادته . وكانت بي رغبة في السهر . فما تمالكت أن ثرت لحريتي المسلوبة وصحت : (أنت غرضك تنومني المغرب ! قسماً بالله العظيم ما أنا نازل)

هكذا كان شأني في المسكن الخاص بين أولئك الخدم . وقد لبثت على هذه الحال زمناً اختمرت فيه داخل نفسي جراثيم الثورة الكبرى على هذا النظام فبيت النية ذات ليلة على خلع نير هؤلاء الذين يسمون أنفسهم خدماً لي . فلما كان الصباح أعددت حقائبي ، واستدعيت للبواب وطلبت إليه أن يبحث عمن يحل محلي في هذا المسكن بأنائه ورياشه . فأتى إلى برجل انجليزي وزوجته فتركت في عهدتهما كل شيء حتى كتبي ، وغادرت ما في البيت من أشياء خصوصية ومن مؤونة حتى زجاجات المياه المعدنية وعلب الجبن والمربة والزبد واللبن والشاي والفطائر ، وطردت خدمي ، واستغنيت عن سيارتي ، وانطلقت بمفردي حراً من جديد ، أتنقل في الفنادق وأطوف بالشوارع ، وأقذف إلى عربات الترام وسيارات الأوتوبيس ، وأختلط بالناس ، وأمتزج بالجماهير . فأحسست كأن الدم يعود جارياً إلى عروقي . وأن قدمي قد فرحتا بلمس الأرض من جديد ، وأن فكري قد عاد إلى انطلاقه ونشاطه ، مع السير الحر بالأقدام في كل مكان ، وملاحظتي الناس في الطرقات قد أخصبت ذهني الذي حبس طويلاً خلف الزجاج ، وجعلت أقف على بائع الذرة وهو يشوي كيزانه على عربته الصغيرة فأحادثه وأباسطه لا يتعجلني سائق ولا تنتظرني سيارة ، وأصغي إلى حديثه الطويل في ذلك الليل مع كناس الجهة . فأشترك معهما في الحديث والسمر ، ورأيت الكناس يساير البائع طمعاً في كوز ، والبائع لا يعنه لا تخطر له العزومة على بال « فإن الشغل شغل » في عرف التجار ، فشريت أنا كوزين أعطيت الكناس واحداً واستبقيت لنفسي الآخر . فدعا لي الكناس الدعوات الصادقات ، وجعل يأكل ويقص علي مما عنده من أحاديث العامة البريئة اللذيذة ...

عرض هذا الشريط كله في رأسي عند ما سألني المخرج ذلك السؤال . ولم أجبه بشيء غير تلك الابتسامة التي أثارتها هذه الذكريات ...

توفيق الحكيم

الافصاح

المعجم العربي الفذ ، وهو خلاصة وافية المخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريبا ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

عيسى يوسف موسى
المدرس بمدرسة الخديوي إسماعيل الثانوية

عبد الفتاح الصعيدي
رئيس التحرير بمجمع اللغة الملكي

معهد التناسليات

قد افتتح معهد التناسليات ببرلين تلميذ الدكتور ستاينخ تحت إشرافه فرعاً لمعهده بمدينة القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ بشارع المدابغ لمدينة سكان مصر والسودان تليفون ٥٢٥٧٨ لمعالجة جميع الاضطرابات والأمراض والشذوذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب بحسب الطرق المتبعة في المعهد الرئيسي بمدينة برلين . ومواعيد العيادة يوميا من الساعة ٩ ١ صباحا ومن ٤ ٥ مساء .

ملاحظة - لا يمكن اعطاء نصائح بالرسالة الا بعد الاجابة على مجموعة الاسئلة البيكيولوجية المحتوية على ١٤١ سؤالا التي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش صاغ .

(سجل تجاري ٥٢٢٧)